

## مشاكل الحياة الزوجية

منذ أن وُجد الإنسان على وجه الأرض ومنذ أن تكونت الحياة العائلية على أساس الجمع بين الرجل والمرأة بدأت المشاكل كالغيرة والسلطة وطرق التربية الخ. وكانت الحلول تختلف حسب المجتمعات والثقافات والعصور. فيقدر ما اجتمع الرجل والمرأة على الحب والوئام بقدر ما افترقا بالحزن والأسى والكراهية. في مجتمعنا الحاضر كثير من الأزواج فشلوا وكثير منهم في حالة انفجار.

ما هي هذه المشاكل وما أسبابها وهل هناك حلول ملائمة لمعالجتها؟

### البداية :

غالباً ما ترجع جذور هذا الانقسام إلى الرغبة الشخصية في البحث عن الحب المثالي وفي نفس الوقت الحرص على مواصلة علاقات حميمية متعددة أو الاحساس بالحيرة والتساؤلات حول نجاعة اختيار رفيق العمر. وبالمثل، يمكن للمرء أن يجد نفسه في حالة تناقض واضطراب بين الحاجة للحفاظ على الحرية الشخصية من جهة ومن جهة أخرى الرغبة في علاقة مستقرة ودائمة.

الزواج ليس فقط الجمع بين عالمين، لكنه هو نفسه وحدة وهوية منفردة، وهو كذلك مُرغَّب له ميزاته الخاصة. حالياً، نشهد تحولاً ملموساً في القواعد الزوجية بحيث أن الأهداف الاقتصادية المادية رُفعت إلى مستوى الأهداف العاطفية. وأصبح مصير الحياة يستند إلى مبادئ التواطؤ والتفاهم أكثر مما يستند إلى الرغبة في الحوار والتفاوض.

### على المستوى الجنسي:

لم يعد الجنس رغبة بالمعنى الكلاسيكي، أي الطموح في الحصول على المزيد من الجنس كحق من أجل المتعة، بغض النظر عن نوعيته. ينبغي على كل واحد منهما أن يلبي ويشبع رغبات الآخر. من الملاحظ أن الزيادة الكبيرة في حالات الطلاق يرجع في غالب الأحيان إلى الإفراط في هذه المطالب.

### على المستوى المادي :

لقد حصل في الآونة الأخيرة اضطراب في مسألة السلطة والقيادة داخل البيت وأصبحت مساهمة كل واحد مرهونة بقدر مساهمة الطرف الآخر في بناء الأسرة. الجانب الكلينيكي يُظهر الزواج كتنظيم منهجي يشترك فيه كل من الزوجين لتبادل الأدوار. ويتربحان نفس الرغبة، ولهما نفس الاشكالية، إلا أننا نلاحظ أنه إذا كان أحدهما قادر على السيطرة على النفس في حين يُسرع الآخر في الانفعال. وباختصار فإن كل واحد منهما يُقبل على تطبيق ما يحاربه الآخر في داخله. كما أن المجتمع يضخم المشاكل خاصة عندما يعتبر أن أحد الزوجين يُشكّل عبئاً على الآخر.

من البديهي أن نطمئن كلما وجدنا أنفسنا أمام شخص يمثل صورة كاريكاتورية لذاتنا تتجلى في صفة من صفاتنا (السلبية، الخجل...). وقد يرجع هذا الإطمئنان وهذا الأمان إلى وجود عيوب في الطرف الثاني الذي بدوره يجد في الطرف الأول النموذج المثالي الذي يجلب له الرضا والاشباع النرجسي.

هذا ينطبق بصفة خاصة على هؤلاء الأزواج المتعارضين المتصارعين باستمرار ولا

ينفصلون. كل واحد منهما يرى في الآخر نقيضاً له إلا أن هذه الضداد إذا جُمعت تُجسّد الكل الواحد.

هذا التواطؤ الناتج عن صراع عميق، ذو طابع متشابه، يلعب دوراً تكاملياً ثنائياً في التفاهم وكذلك في الشجار بين الزوجين مما يؤدي إلى وضع معقد ومتناقض " أنا على هذه الحالة لأنك أنت على تلك .... " أي أن تصرف هذا الطرف يأتي بمثابة ذريعة أو نتيجة لتصرف الطرف الآخر. ما يثير الاستغراب هو أن لا هذا ولا ذلك يدرك عدم جدوى هذه العملية. والأغرب من ذلك أنه إذا اقترحنا على هؤلاء الأزواج أن يختاروا بين الاستمرار في هذه المشكلة أو محاولة الخروج منها ، نلاحظ فجأة بروز السبب الباطني: لا أحد يستطيع أن يتخيل العيش مع الآخر بطريقة أخرى وبنمط مختلف. نظام الزوجية هو نظام معقد. يمكن تحديده في ثلاثة مبادئ أساسية :

## 1. التحديد:

التحديد يكمن في إيجاد الإجابة على سؤالين : كيف يمكننا أن نتقرب من بعضنا البعض دون أن نفقد أنفسنا؟ إلى أي مدى يمكن للزوجين تحديد موقفهما اتجاه محيطهما؟ . يقول FURG WILLY " يجب على كل الأزواج البحث على تحديد وضعيتهم على خط مستقيم ينطلق من الاندماج وينتهي بالوحدة المتعنتة "

## 11. الاندماج :

الزواج يشكل وحدة تكافلية، " أنا " مشتركة. ويطمح الطرفان إلى الرومانسية المثالية " الحب هو نحن لوحدنا بعيداً عن الآخرين". الزوجان منغلقان على نفسيهما في "علاقة حميمة فائقة " مما يجعل كل طرف يفقد أنانيته الخاصة إلى أنانية مشتركة.

## 12. حدود هشة :

الزوجان يعيشان معاً، ويشكلان وحدة زوجية متكاملة لكن كل واحد منهما يلتزم بالحفاظ على ميزاته الشخصية ويضع حدوداً واضحة بينه وبين شريكه. ولا أحد منهما مستعد للتخلي عن شيء من حقه والتضحية من أجل الآخر.

## 13. حدود ثابتة (متعنتة) :

في هذه الحالة، كل طرف يضع مسافة تفصله عن الطرف الآخر خوفاً من فقدان حريته في الحركة والتصرف. ويشكل الأطفال والمحيط حاجزاً واقياً يمنع كل تقارب حميمي بين الزوجين.

فيما يخص معالجة الصراعات الزوجية نجد من بين الأعراض البارزة الغموض وعدم اثبات الحد الفارق بين الزوجين.

## 2. مبدأ التكامل :

العلاقة الزوجية السليمة تتطلب صفات الاستقلالية والاستقرار والنضج. الحياة الزوجية هي عبارة عن ميزان يتأرجح بين الاستسلام والهيمنة ، وبين النضج

والطفولية. مثلاً : عندما يكون أحدهما في حالة حزن ويأس فالمطلوب من الآخر مساندته واطمئنانه والعكس كذلك. كما يجب على طرف أن يتقبل ضعفه أمام الآخر وأن يقبل ضعف الآخر أمامه وهذا يمثل الشرط الأساسي لارتقاء الذات لكل واحد منهما ولكليهما . طبعاً، الجميع لا يخضع لهذا المنطق، البعض يتبع أسلوباً طفولياً ويرفض طريقة الكبار، والبعض الآخر يجبر نفسه على اتخاذ موقف قوة ، وموقف صرامة من أجل التحكم في مشاعره خاصة وأن هذا الوضع غالباً ما يرفضه المجتمع. إنها خطة تهدف إلى إخفاء ضعفه وراء واجهة لشخصية قوية.

### 3. مبدأ مساواة القيم بين الزوجين :

هذه المساواة موجودة على عكس ما تظهره مشاهد الواقع. فالشريك الذي لديه مكانة مهنية واجتماعية بارزة غالباً ما يعتمد فيها على الشريك الآخر الذي يعمل في الخفاء ويدعم أنشطته من وراء الستار. ومن هنا جاء القول المأثور الذي يجعل من الزوج وزير الخارجية والزوجة وزيرة الداخلية. إذا قمنا بفحص دقيق نلاحظ أنه ، عموماً ، لا يمكننا أن نحدد من يهيمن على من، خاصة وأنه ما يبدو انتصاراً قد يؤدي إلى رد فعل انتقامي.

### الزواج بين المحنة والعلاج :

الأزواج الذين يقدمون على الاستشارة يقومون بذلك من أجل التخلص من الآلام التي أحدثتها النقص في العطف والحنان الذي تعبر عنه الإحباطات، والأخطاء، والإخفاقات، وسوء الفهم، والضجر ومجموعة من الشكاوي والانتقادات التي تتعلق بالأقارب وصعوبات العلاقات الاجتماعية.

سيكون انجازاً لمن استطاع الفرز بين هذه الاشياء.

عند الأزواج الذين يعيشون في صراع دائم ، والذين فقدوا القدرة على تدبير أمورهم ، فآدني شرارة يمكن أن تؤدي إلى مأساة. عدم وضوح المطالب، وضبط النفس غالباً ما يتطلب ساعات من العمل لتوفير الأجواء المناسبة لفهم الحالة. ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء الأزواج ، حتى في اللحظات الصعبة، يبقون مرتبطين، معاً، بعاداتهم وطقوسهم.

خلال العلاج ، نركز بشكل أساسي على العوامل المشتركة بين الطرفين وديناميات الزوجية ونتممّد إهمال عوامل أخرى خارجية. يتم الفراق عندما يتوقف أحد الطرفين عن تقدير وتأكيد

ميزة الآخر. يحصل الانفصال عندما يكون عدم التقدير متبادل بين الزوجين

، أو كل طرف يشعر أنه لا سعادة له مع الآخر، أو لم يعد يثق في قدرته لجلب السعادة.